

التعليم عن بعد في الوطن العربي، ضرورة أم اختيار؟ مقاربة تطبيقية

**Distance Learning in the Arab world:
necessity or choice?
(In the light of the results of an applied study)**

د. هادية العود البهلول

مركز الدراسات والبحوث
الاقتصادية والاجتماعية
تونس

hediabahloul@yahoo.fr



التعليم عن بعد في الوطن العربي، ضرورة أم اختيار؟ مقاربة تطبيقية

د. هادية العود البهلول

ملخص:

يهدف البحث الحالي إلى التعرف إلى وجهة نظر عيّنة من الفاعلين في العملية التعليمية في الوطن العربي حول أهمية دمج التعليم عن بعد في أنظمة التعليم العربيّة: ضرورة أم اختيار؟ وتتكون العينة من 521 فرداً من بلدان عربية مختلفة (8 بلدان) من الجنسين، من مختلف الأعمار والتخصصات العلمية. اتبعت الباحثة المنهج الوصفي والتحليلي، لذلك تم إعداد استبيان مكوّن من ثمانية أسئلة أساسية ونشره على الشبكة الاجتماعية. أسفر البحث عن مجموعة من النتائج على النحو التالي: يرى معظم المستجوبين أن التعليم عن بعد أصبح ضرورة في عصر العولمة وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات ويجب دمجه في أنظمة التعليم العربية في جميع مراحل التعليم. في المقابل، يرفض معظم المستجوبين جعل التعليم عن بعد بديلاً كاملاً للتعليم الحضوري، ولكن فقط كمكمل ودعم له في جميع المستويات التعليمية بما في ذلك التعليم الجامعي. كما لم يكن لمتغيرات الدراسة (الصفة والتخصص العلمي والانتماء الجغرافي) تأثير ملحوظ على النتائج، حيث اتفق معظم المستجوبين بصفاتهم المختلفة (مدرسين في جميع مراحل التعليم، ومتعلمين وأولياء أمور) وبتخصصاتهم العلمية المتنوعة ووصولهم الجغرافية (البلد) على ضرورة دمج التعليم عن بعد والتكنولوجيا الحديثة في أنظمة التعليم، مع الإبقاء على التعليم الحضوري وعدم استبداله بالتعليم عن بعد. ويعتقد معظم المستجوبين أيضاً، بترتيب متفاوت، أن عوامل كثيرة تعيق دمج التعليم عن بعد في معظم البلدان العربية، ومن أهمها عدم الجاهزية التقنية واللوجستية، ضعف الإرادة السياسية، افتقار المدرسين للتدريب على التكنولوجيا الرقمية وعدم الرغبة في استخدامها، واعتبارهم التعليم عن بعد ليس طريقة جيّدة للتدريس والتعلم.

الكلمات المفتاحية: التعليم عن بعد، التكنولوجيا الرقمية، التعليم الحضوري، الجاهزية التقنية، الثقافة الرقمية، العملية التعليمية.

Abstract:

The current research aims to identify the viewpoint of a sample of actors in the educational process in the Arab world on the importance of integrating distance education into Arab education systems: is it a necessity or an option? The sample consists of 521 individuals from different Arab countries (8 countries) of both sexes, of different ages and scientific specializations. The researcher followed the descriptive and analytical approach, so a questionnaire consisting of eight basic questions was prepared and published on the social network. The research resulted in a set of results as follows: Most of the respondents believe that distance education has become a necessity and should be integrated into Arab education systems at all levels of education. On the other hand, most of the respondents refuse to make distance education a complete alternative to live teaching, but only as a supplement and support for it at all educational levels, including university education. The study variables (quality, scientific specialization and country) did not have a noticeable effect on the results, with most respondents agreeing on their different qualities (teachers at all levels of education, learners and parents) and their scientific specializations and origins (countries) on the need to integrate distance education and modern technology into education systems, while continuing to teach face to face and not replacing it with Distance Learning. The respondents also see that many factors impede the integration of distance education, the most important of which are the lack of technical and logistical preparedness in most Arab countries, the weak political will, the lack of training of teachers in digital technology and their unwillingness to use it, and considering distance education not a Good method for teaching and learning.

Key-words: distance education, digital technology, face to face teaching, digital culture, the educational process.

1- تمهيد:

شهد العالم منذ الربع الأخير من القرن العشرين، ثورة علمية وتكنولوجية ضخمة أحدثت سلسلة من التحولات التي أثرت في مختلف جوانب حياة المجتمع، سواء في الاقتصاد أو علاقات العمل أو العلاقات الإنسانية أو نظام التعليم. وأدت العولمة وانفتاح أسواق العمل على بعضها البعض إلى حراك مهني وهجرة زادا من أهمية التدريب على التكنولوجيات الحديثة التي أصبحت من المكونات الرئيسة في قاطرة التنمية والتقدم. لذلك، فإن المجتمع الذي لا يسعى إلى مواكبة هذا التطور العلمي والتكنولوجي سيجد نفسه غير قادر على الدخول والتفاعل والمساهمة في المجتمع الجديد. كما أن الدولة التي لا تدرك أهمية هذا التغيير في المعرفة والتكنولوجيا ستجد نفسها حتماً على هامش التقدم.

وفقاً للمنظمة الدولية للثقافة والعلوم (اليونسكو)، "مع العولمة وظهور صناعات جديدة، أصبح الاستثمار في العملية التعليمية-الأكاديمية والمهنية -استثماراً بشرياً، "صناعة المتعلم"؛ إذ تتطلب خصائص العصر الابتعاد عن الجمود القائم والعصف الذهني، للانتقال إلى حيوية الاكتشاف والبحث والتحليل والاستنتاج، وصولاً إلى حلّ المشكلات... ولذلك، فإن أي شكل من أشكال التعليم الذي يركز على المتعلمين يجعل من الضروري تنوع مصادر وأشكال المعرفة وتوظيف أحدث التقنيات في هذا المجال"¹.

2- إشكالية الدراسة:

فرضت تكنولوجيا المعلومات والاتصال (CIT) مسؤولية أساس على كل المجتمعات لتحديد القواعد أو الاستراتيجيات اللازمة لاستغلالها في خدمة أهدافها وغاياتها. وتعدّ مسألة الرّبط بين أنظمة التعليم وتكنولوجيا المعلومات والاتصال من أهمّ القضايا المطروحة على الساحة الدولية بشكل عام. وتعمل دول العالم، بمستوياتها المختلفة، اليوم، على تحديث أنظمتها التعليمية لتلبية متطلبات القرن الجديد (ق 21)، من خلال دمج أحدث الابتكارات العلمية والتكنولوجية بطريقة فعّالة تمكّن جميع أطراف العملية التعليمية من المشاركة في تحسين مهاراتهم وتنميتها، من أجل إعداد الشخص الذي يتعامل بشكل فعّال في عالم أصبحت فيه الرقمنة لغة العصر، وتأمين احتياجات المجتمع من القوى البشرية التي تتطلبها التغيرات العميقة في مختلف المجالات.

كما تسبب وباء فيروس كورونا (كوفيد 19) في صدمة غير مسبوقة في أنظمة التعليم في عدّة دول حول العالم، وخصوصاً في العالم العربي، حيث غيّرت حياة ما يقرب من 1.6 مليار تلميذ وطالب في أكثر من 190 دولة في جميع القارات، بما في ذلك 83 مليوناً في الدول العربية، وفقاً لتقرير الأمم المتحدة (2020)². وقد

1- اليونسكو (2020)، التعليم عن بعد: مفهومه، أدواته واستراتيجياته-دليل لصانعي السياسات في التعليم الأكاديمي والمهني

والتقني، متاح على الرابط: <https://inee.org/system/files/resources/Policy-brief-distance-learning->

2- Rapport des Nations Unies, (Aout 2020), « Note de synthèse : L'éducation en temps de COVID-19 et après, Août 2020 », p2, en ligne : https://www.un.org/sites/un2.un.org/files/policy_brief_-_education_during_covid-19

أجبر هذا الوضع السلطات في هذه الدول على استخدام عدّة طرق للتعليم عن بعد، أهمّها التعليم الرقمي. وقد كشف ذلك عن العديد من المشكلات والمعوقات التي تحول دون تنفيذ هذا النوع من التعليم في عدة مناطق، كما أثارت هذه التجربة أسئلة مهمّة تستحق التأمل والنقاش حول فاعلية هذا النظام التعليمي الجديد (التعليم الرقمي)، سواء من حيث تحقيق الأهداف الأساس للعملية التعليمية، مثل تدريب الشخص القادر على مواكبة العولمة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وكذلك الاستجابة لمتطلبات سوق العمل الجديدة؛ وفي الوقت نفسه، بناء الإنسان-المواطن الصالح في مجتمعه، مشبعاً بخصائصه وبالقيم الإنسانية وقيم المواطنة؛ أو من حيث التحديات المختلفة (اللوجستية، والتقنية، والاجتماعية، والثقافية) التي يجب على عديد الدول، بما في ذلك معظم الدول العربية، مواجهتها من أجل دمج هذا النموذج من التعليم عن بعد، والذي يختلف عديد الفاعلين حول مدى ضرورته أم لا في العملية التعليمية. تقول ج. جاكينوت (Geneviève Jacquinet)، المتخصصة في تكنولوجيا التعليم، إن "موضوع التعليم عن بعد أصبح رائجا وظاهرة موضة في هذا العصر، لكن الظواهر الموضة والرائجة تتطلب دائماً التساؤل"¹. وفعلاً، هذا ما أردنا التساؤل حوله في هذه الدراسة ومناقشته في الورقة العلمية ضمن هذا المؤتمر حول "التربية والتعليم وتحديات العولمة". وذلك استناداً إلى نتائج بحث ميداني حول "التعليم عن بعد في الدول العربية: ضرورة أم اختيار؟ قمنا من خلاله باستجواب عينة من الفاعلين في العملية التعليمية تتكون من 521 فرداً: مدرسين من المراحل التعليمية المختلفة (جامعية / ثانوية وابتدائية)، متعلمين (تلاميذ وطلبة) وأولياء الأمور، ومن عدّة بلدان عربية (تونس، ليبيا، الجزائر، المغرب، مصر، العراق، سوريا، لبنان، الأردن، الإمارات المتحدة، قطر)، باستعمال تقنية الاستبيان بواسطة الانترنت.

3- منهج الدراسة:

استخدمنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي-التحليلي، وهو "المنهج الذي يعتمد الباحث في الحصول على المعلومات التي تساهم في تحليل الظواهر [...] ووصف البيانات وتصنيفها وتحليلها، ثم استخلاص النتائج"². واعتمدنا تقنية "الاستبيان" كأداة لجمع البيانات من أكبر عدد ممكن من الأفراد، وتضع المستجوبين في مواقف مماثلة³. كذلك لم نستخدم أيّاً من طرق اختيار العينة المعتادة، إذ وضعنا الاستبيان على الشبكة الاجتماعية، ووضعنا شرطاً فقط للمستجوبين ليكونوا من بين الفاعلين في العملية التعليمية (مدرسين من جميع المستويات التعليمية، طلبة، تلاميذ وأولياء أمور). المهمّ بالنسبة إلينا أن يكون

1- Geneviève Jacquinet(1993), Apprivoiser la distance et supprimer l'absence ? Ou les défis de la formation à distance, Revue française de pédagogie Année 1993, N°102, pp. 55-6, en ligne :

https://www.persee.fr/doc/rfp_0556-7807_1993_num_102_1_1305

2- طعم الله، خميس(2004)، مناهج البحث وأدواته في العلوم الاجتماعية، مركز النشر الجامعي، ص 12.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المستجوبون من مختلف البلدان العربية، ومن الجنسين، ومن الفئات العمرية المختلفة، وخاصة من مختلف التخصصات والصفات العلمية.

3-1- فرضيات البحث:

تعتبر فرضيات البحث تفسيرات وأفكاراً أولية لمشكلة البحث توجه الباحث إلى نوع البيانات والمعلومات المراد جمعها. وقد قمنا بصياغة ثلاث فرضيات أساس:

الفرضية الأولى: يعتقد معظم الفاعلين في العملية التعليمية من الوطن العربي أن دمج التعليم عن بعد في أنظمة التعليم في العالم العربي أصبح ضرورة ملحة اليوم في عصر العولمة والثورة الرقمية التي اجتاحت جميع مجالات الحياة، وليس خياراً.

الفرضية الثانية: يرفض معظم الفاعلين في العملية التعليمية التعليم عن بعد كبديل للتعليم الحضوري، ولكن فقط كمكمل ودعم له.

الفرضية الثالثة: يرى معظم الفاعلين في العملية التعليمية أن دمج التعلم عن بعد في أنظمة التعليم في بلادنا العربية يتوقف على عدة عوامل، وصعوبات يجب التغلب عليها: فنية ولوجستية وثقافية وسياسية. حاولنا قياس مدى صحة هذه الفرضيات من عدمه، من خلال سلسلة من الأسئلة (الاستبيان) التي وجهناها إلى عينة من الفاعلين في العملية التعليمية في العالم العربي (مدرسين، ومتعلمين وأولياء أمور) لمعرفة آرائهم فيما يتعلق بضرورة دمج التعليم عن بعد في أنظمة التعليم في العالم العربي وأسباب دعمهم أو رفضهم له.

3-2- تحديد مصطلحات الدراسة:

يعدّ تحديد المصطلحات الأساس للدراسة من أهمّ خطوات البحث العلمي وضروريًا لفهم محتوى الموضوع بشكل أفضل. "ذلك أن الألفاظ لها دلالات متعدّدة تختلف باختلاف فروع المعرفة. فكلّما اتّسم هذا التّحديد بالدقّة والوضوح سهلت صياغة أسئلة البحث، ويسهّل على القراء الذين يتابعون البحث إدراك المعاني والأفكار التي يريد الباحث التعبير عنها دون أن يختلفوا في فهم ما يقول"¹.

3-2-1- التعليم عن بعد:

يمثل "التعليم عن بعد" أهمّ مصطلح في هذه الدراسة. وقد اتخذ التعليم عن بعد عديد التسميات، مثل "التعلّم عن بعد" (e-learning ou online Learning) و"التدريس عن بعد" (Distance Teaching) و"التربية عن بعد" (Distance Education)².

1- خليل، عمر معن (1980)، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، منشورات دار الآفاق الجديدة-بيروت، ص37.
2- Sherry, L. (1995), Issues in Distance Learning, International Journal of Educational Telecommunications, 1(4), pp. 337-365.

ووفقًا لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD)، "يعد التعليم عن بعد شكلاً من أشكال التعليم يتم فيه الفصل بين المعلمين والمتعلمين؛ وإنه نوع من التدريس لا ينفصل عن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (دورات تدريبية عبر الإنترنت، فيديوهات توضيحية، منصات تعليم، عقد المؤتمرات عبر الإنترنت...)، ولا يكون التواجد المادي للطالب ضروريًا بشكل عام إلا خلال فترة الامتحان. أيضًا، يمكن أن يجمع التعليم عن بعد بين استخدام عديد الأدوات والمنصات، ويؤدي إلى التدريس المختلط، عند دمج مع التدريس وجهًا لوجه"¹.

ويعد تعريف هولمبيرج (Holmberg) لـ "التعليم عن بعد" واحد من أبسط التعريفات وأكثرها استخدامًا في مجالات التعليم عن بعد، فيشير إلى أنه مصطلح يغطي جميع طرق الدراسة في جميع مستويات التعليم التي لا تعتمد الإشراف المباشر والمستمر للمدرسين الحاضرين مع طلابهم في الفصول الدراسية التقليدية. لكن تبقى عمليّة التعليم عن بعد دائما خاضعة لتخطيط وتوجيه وإدارة المؤسسة التعليمية والمعلمين².

3-2-2 نماذج التعلم عن بعد:

• التعلم عن بعد المتزامن:

التعلم عن بعد المتزامن هو اتصال ثنائي الاتجاه في الوقت الحقيقي (التفاعل وردود الفعل) بين المعلم والمتعلمين وبين المتعلمين أنفسهم؛ بمعنى آخر، يلتقي هؤلاء الأشخاص في وقت واحد في بيئة تعلم حقيقية عبر الإنترنت في لقاء وجهًا لوجه. أفضل الأمثلة على التقنيات المتزامنة هي المؤتمرات الصوتية عبر الويب ومؤتمرات الفيديو والفصول الدراسية الافتراضية (audio-web conferencing, web video conferencing and virtual classrooms). وتسمح أنظمة الفصول الافتراضية المختلفة هذه بإدارة الفصل الدراسي والتفاعل المتحكم فيه بين المشاركين ومشاركة الشاشة وما إلى ذلك.

• التعلم عن بعد غير المتزامن:

الدروس التعليمية عن بعد في الوضع غير المتزامن، أي في الوقت المؤجل، لا تتطلب حضور المدرس أو المتعلم أو جميع المتعلمين في نفس الوقت؛ يمكن للمدرس إرسال الدرس باستخدام رسائل البريد الإلكتروني أو وضعه على موقع الويب، ويمكن للطالب الوصول إليه في الوقت الذي يناسبه، باتباع تعليمات المدرس لإكمال التعلّم دون الحاجة إلى وجود اتصال متزامن بينهما.

• نماذج التعليم المختلط (hybrid model) وثنائي النسق (bimodal model) :

قد يبدو مصطلح "التعليم المختلط" غامضًا؛ فهو يشمل مجموعة متنوعة من التقنيات وطرق التدريس في مجموعات مختلفة؛ ويمكن أن يشير إلى الوضع الذي يجمع بين كل من المتزامن وغير المتزامن في بيئات

1- UQTR (2013), Politique de la formation à distance, d'avril 2020, en ligne : <https://oraprdnt.uqtr.quebec.ca/vrsg/Reglementation/>

2- صادق، علاء (6-2009)، الأسس النظرية للتعليم عن بعد، منتديات ستار تايمز، متاح على النت:

<https://www.startimes.com/f.aspx?t=17253113>

التعلم عبر الإنترنت، اعتماداً على تفضيلات المتعلمين وظروفهم. يمكن أن يعني أيضاً وضعاً يجمع بين التعليم المتزامن و/ أو غير المتزامن والتدريس وجهاً لوجه. أيضاً في التعليم المختلط، يكون لدى المتعلمين أنشطة تعليمية يتم إجراؤها عن بعد وأنشطة أخرى تتم بحضور المعلم؛ "كما هو الحال مع الفصل المقلوب (flip teaching)، الذي يتضمن استماع الطالب إلى الجزء النظري من الدرس من وسائط متعددة والحضور في الفصل للقيام بتمارين".¹ ووفقاً لرمبل (G. Rumble)، "تطوير النموذج المختلط للتعليم عن بعد مرغوب فيه أكثر وستكون للمؤسسات المختلطة فرصة أفضل للنجاح".² كما نتحدث أيضاً عن نموذج التعليم "ثنائي النسق" حيث يقوم المدرس بتقديم الدرس في الفصل في وقت واحد أمام الطلاب الحاضرين، بينما يشارك الآخرون في الدورة نفسها عبر منصة.

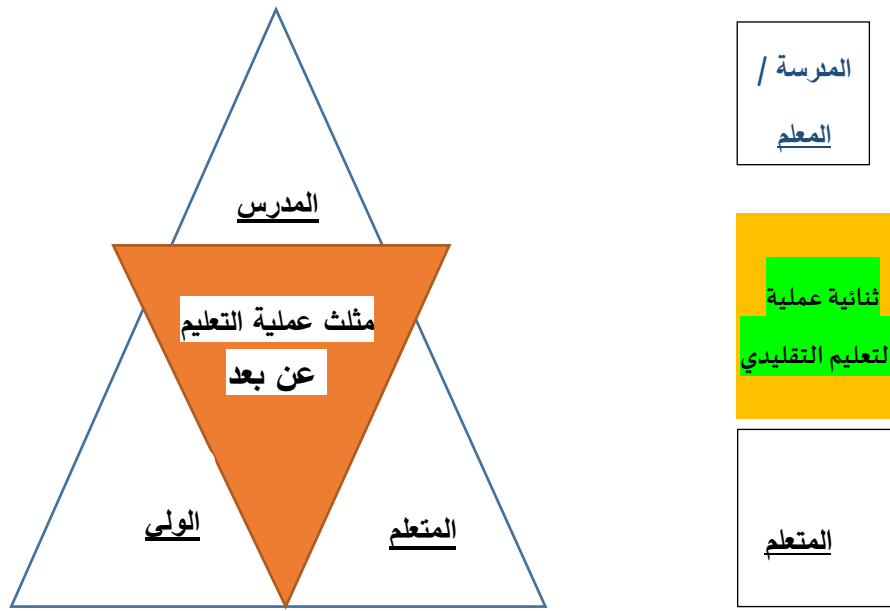
3-2-3 - المفهوم الإجرائي للتعليم عن بعد:

المقصود بالتعلم عن بعد في هذه الدراسة هو نظام تعليمي غير مباشر يفصل بين المدرس والمتعلم مكانياً وبين المتعلمين أنفسهم. يعتمد آليات الاتصال الحديثة في التعليم (أجهزة الكمبيوتر، الإنترنت، المنصات التعليمية، البريد الإلكتروني، الفيديوهات، الموقع الإلكتروني، مساحات النقاش والحوار...).

وتجدر الإشارة إلى أنه مع التعليم عن بعد أصبحت العملية التعليمية تقوم على ثلاث ركائز أساس: المعلم والمتعلم وأولياء الأمور، وتسمى "مثلث العملية التعليمية". وهذا يختلف عن ازدواجية العملية التربوية في التعليم "التقليدي"، حيث نجد المعلم والمتعلم، ولا يلعب أولياء الأمور أي أدوار ملحوظة، باستثناء الدور الأبوي اليومي (كاصطحاب أطفالهم إلى المدرسة، ومراجعة الواجبات المنزلية). بينما مع التعليم الافتراضي عن بعد، فإن الآباء هم جزء أساسي من المثلث التعليمي كما هو ملخص في الشكل التالي (3):

1- Guillemet, Patrick, «La formation hybride», février 2009, Vers l'UQAM bimodale (site personnel)

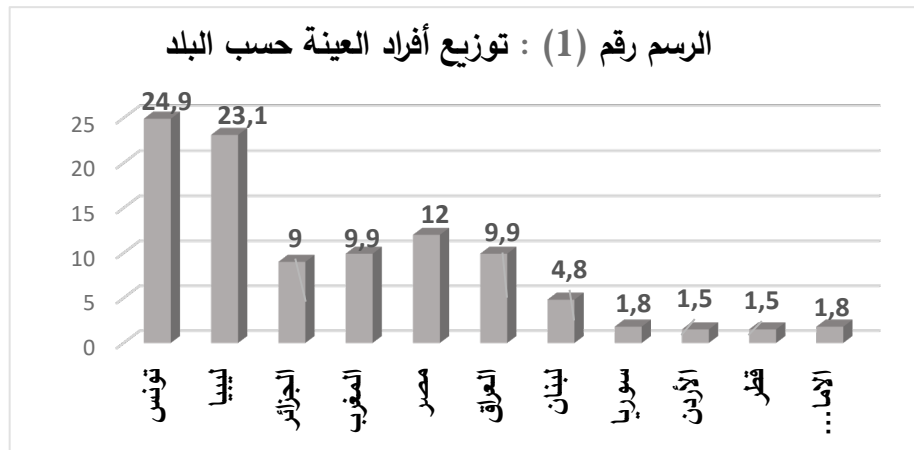
2- Rumble, G. (1994). Mixed modes of teaching and learning: structures, resources, and developments. In Thorpe, M. & Grugeon, D. (éd), Open Learning in the Mainstream (pp. 3-16). Great Britain : Longman Group United, Cité in : Madoué Florentine Akouete-Hounsino (2012), La formation continue à distance des enseignants du secondaire AU Bénin : Réalités et Perspectives, thèse de doctorat en Psychopédagogie, Université de Montréal, p59.



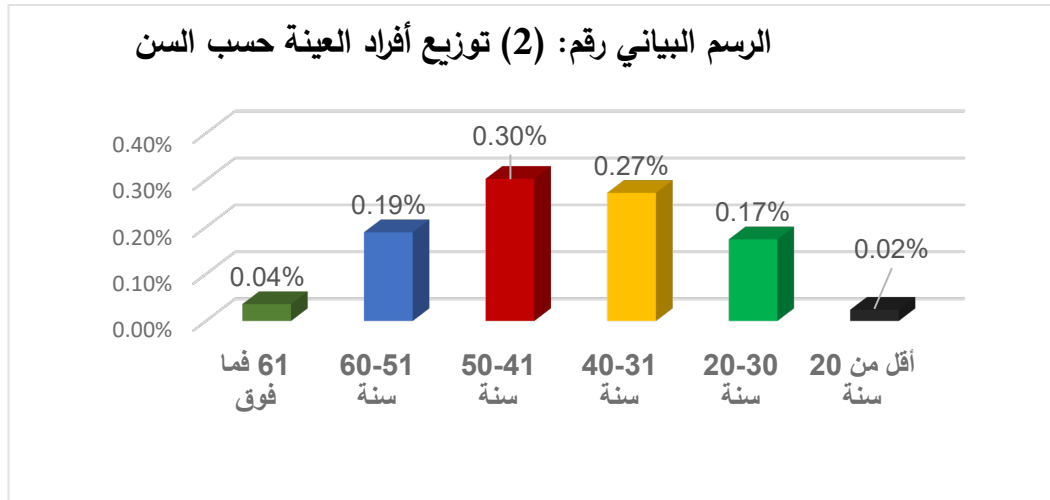
4- نتائج الدراسة:

4-1- خصائص العينة:

تتكون عينة الدراسة من 521 فردًا (الرسم رقم 1 أدناه). كما تشمل 50.2% من الرجال و49.8% من النساء، ومن جميع الأعمار (الرسم رقم 2):

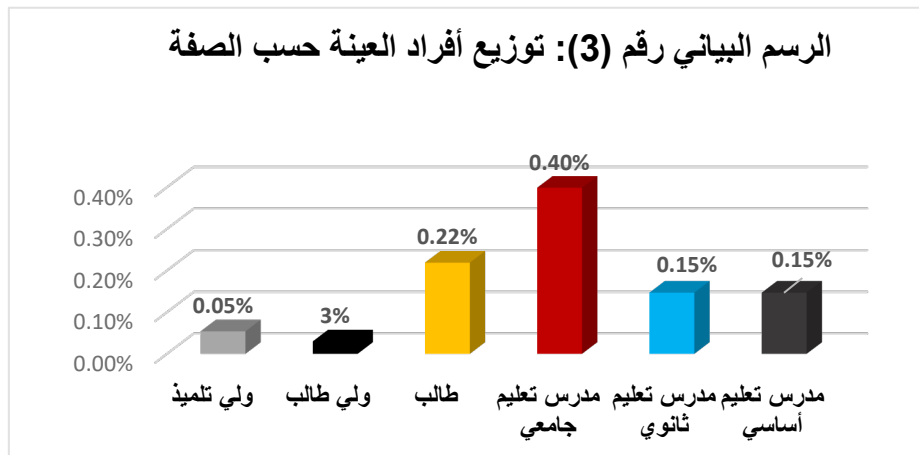


يتضح من الرسم رقم (1) أن أفراد العينة يتوزعون بنسب متفاوتة على 11 بلداً، من المغرب العربي الكبير والشرق العربي والخليج العربي.



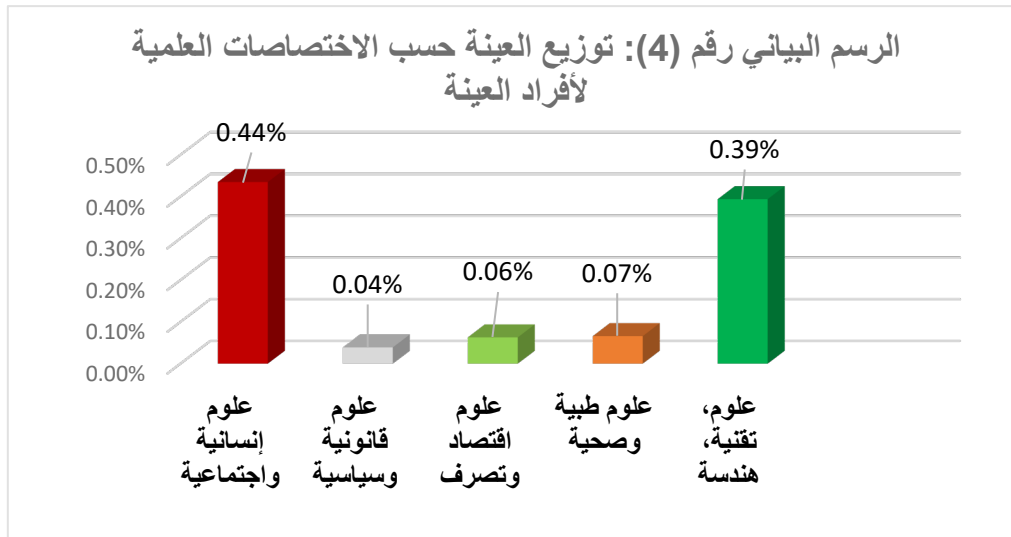
ينتمي أفراد العينة إلى فئات عمرية مختلفة (ما بين أقل من 20 وما فوق 61 سنة)، بمعدلات متفاوتة تتراوح بين 2.4% و30.3%. أكثر الفئات العمرية تمثيلاً في العينة هي الفئات العمرية المتوسطة (بين 31 و50 سنة).

يمثل أفراد العينة عددًا من الفاعلين في العملية التربوية: مدرسين من جميع المراحل التعليمية (ابتدائي، إعدادي، ثانوي، جامعي) وطلاب وتلاميذ وأولياء، كما هو مبين في الجدول التالي:



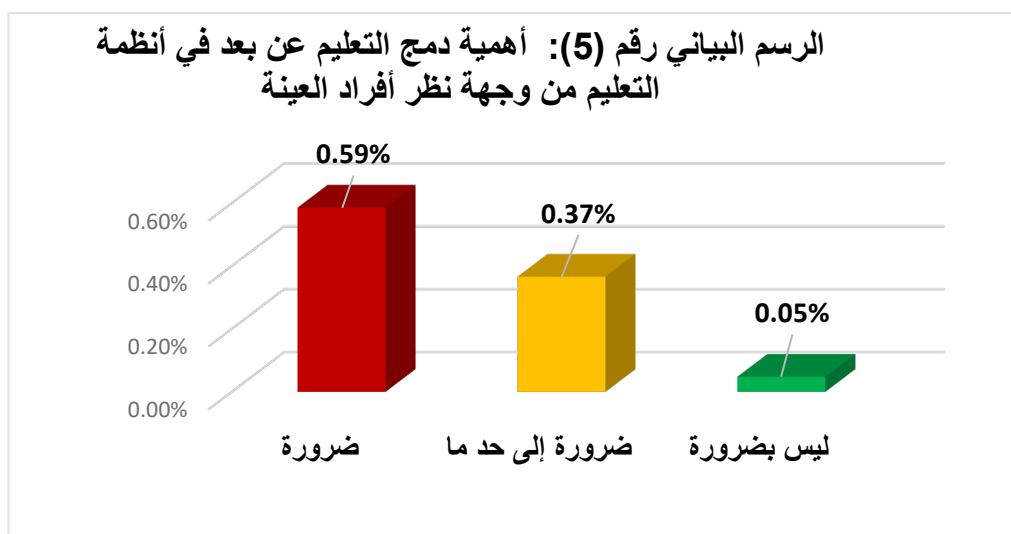
نلاحظ أن مدرسي التعليم الجامعي هم أكثر تمثيلية في العينة بنسبة 40% يليها طلبة الجامعة (حوالي 30%) ثم مدرسو التعليم الأساسي والثانوي (14.7%) أما نسبة مشاركة الأولياء (أولياء التلاميذ والطلبة) فهي ضئيلة جدا (3% و5.4%).

كما ينتمي أفراد العينة أيضاً إلى تخصصات علمية مختلفة:

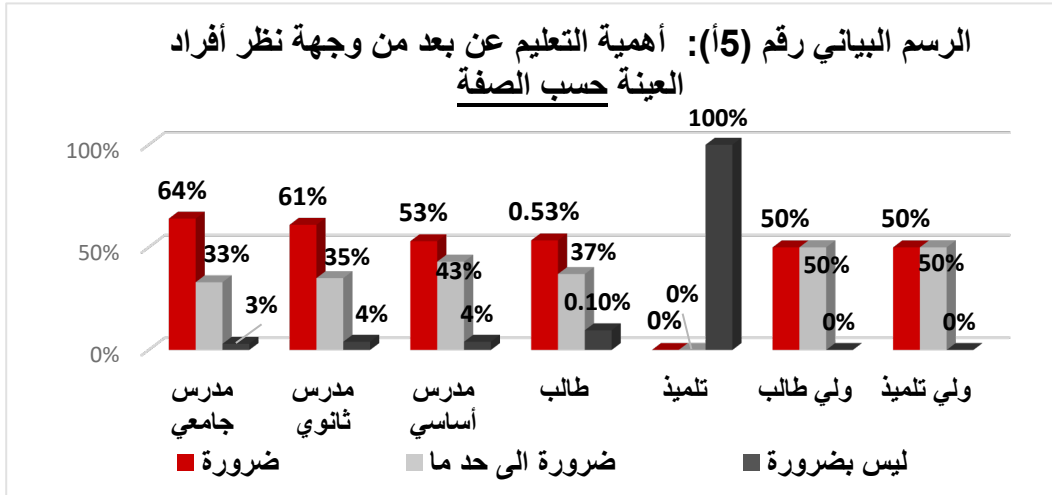


يتضح من البيانات الواردة في الرسم رقم (4) أعلاه أن المستجوبين من تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية هم الأكثر تمثيلاً للعينة (43.5%). يتبعهم أولئك من تخصصات العلوم والتقنية والهندسة (39.4%). لكن بشكل عام، تبلغ نسب الفاعلين في مجالات العلوم والطب والهندسة 46% مقابل 54% في التخصصات الإنسانية والاجتماعية والتصريف...

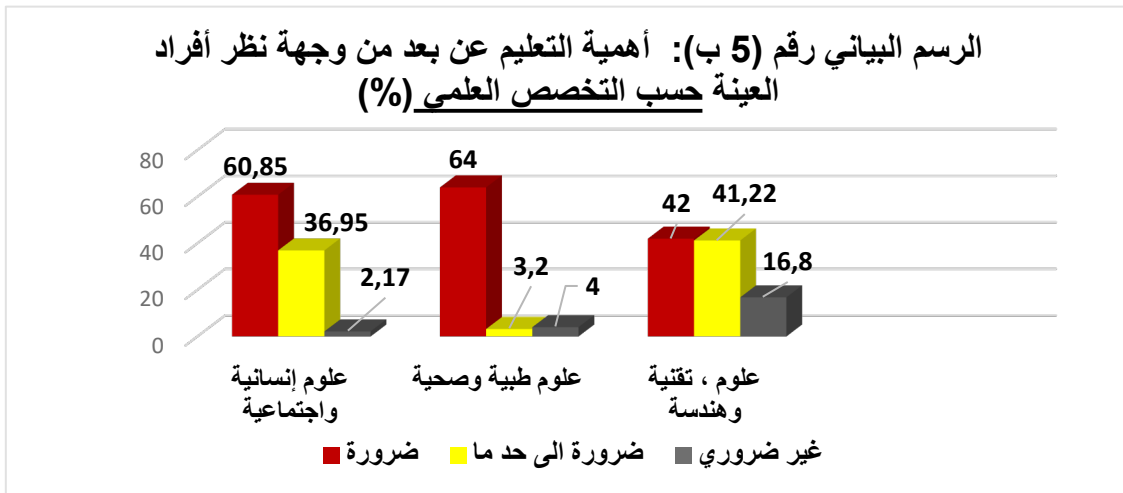
2-4- التعليم عن بعد من وجهة نظر أفراد العينة (الفاعلين في العملية التعليمية): لقد طرحنا على أفراد العينة سؤالاً أردنا من خلاله معرفة ما إذا كان التعليم عن بعد أصبح اليوم "ضرورياً" أو "ضرورياً إلى حد ما" أو "غير ضروري"، فجاءت الإجابات على النحو التالي:



يتضح من الرسم أعلاه (5) أن معظم المستجوبين يعتبرون أن التعليم عن بعد "ضرورة" (58.6%) أو "ضرورة إلى حد ما" (36.6%)، ونسبة منخفضة جداً (4.8%) يعتبرونه "غير ضرورة".



وتقاطعا مع متغير "صفة" المستجوبين، يتبين أن حوالي ثلثي المستجوبين -مدرسي المرحلة الثانوية والجامعية- يعتبرون أنه من الضروري دمج التعليم عن بعد في نظام التعليم الحضوري (على التوالي

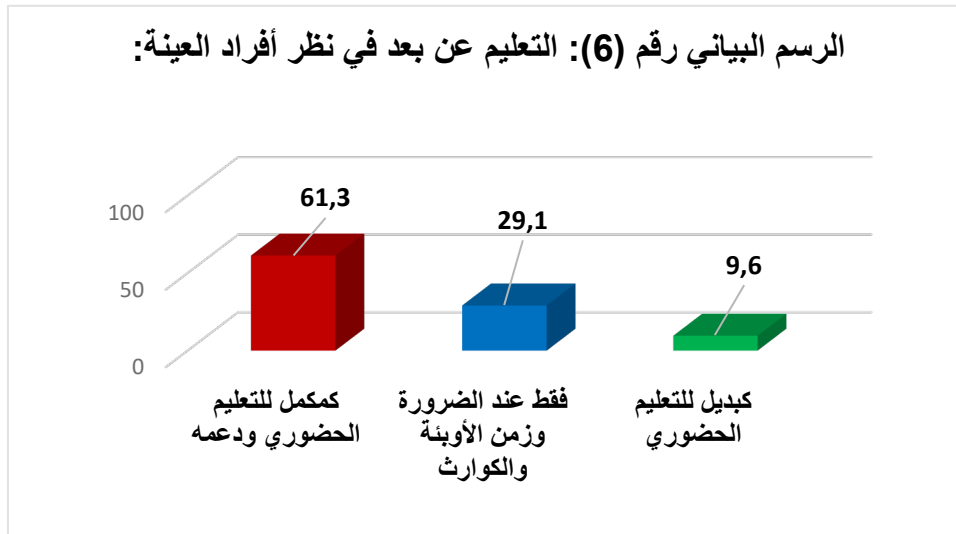


61% و64%). ويتبعهم الطلاب ومعلمي التعليم الأساسي وأولياء الأمور بنسب تتراوح بين 50% و53.4%. أما نسبة الرافضين للتعليم عن بعد فهي منخفضة للغاية بين جميع الفاعلين في العملية التعليمية من مختلف الصفات (بين 0% و9.6%)، باستثناء فئة التلاميذ -وحجمهم منخفض بين أفراد العينة- الذين يرفضون التعلّم عن بُعد 100/100. وجهة النظر هذه يدعمها العديد من المتخصصين الذين يعتقدون أن التعليم الحضوري لا بديل له في مراحل التعليم الأساسي؛ إذ يقول عالم الاجتماع الفرنسي فرانسوا دوبي، المتخصص في علم اجتماع التربية، "قيمة المدرسة في المدرسة" وأنه على الرغم من أن التلاميذ لا يحبون دائماً الفصل الدراسي والدروس والاختبارات، فإن معظمهم يحبون المدرسة لأنها مكان الحياة الاجتماعية

والصداقات والتعبير عن الذات والأذواق، فالحياة المدرسية تسمح للمتعلم بالنمو وتأكيد نفسه بعيداً عن والديه، وأحياناً، بعيداً عن معلميه"¹.

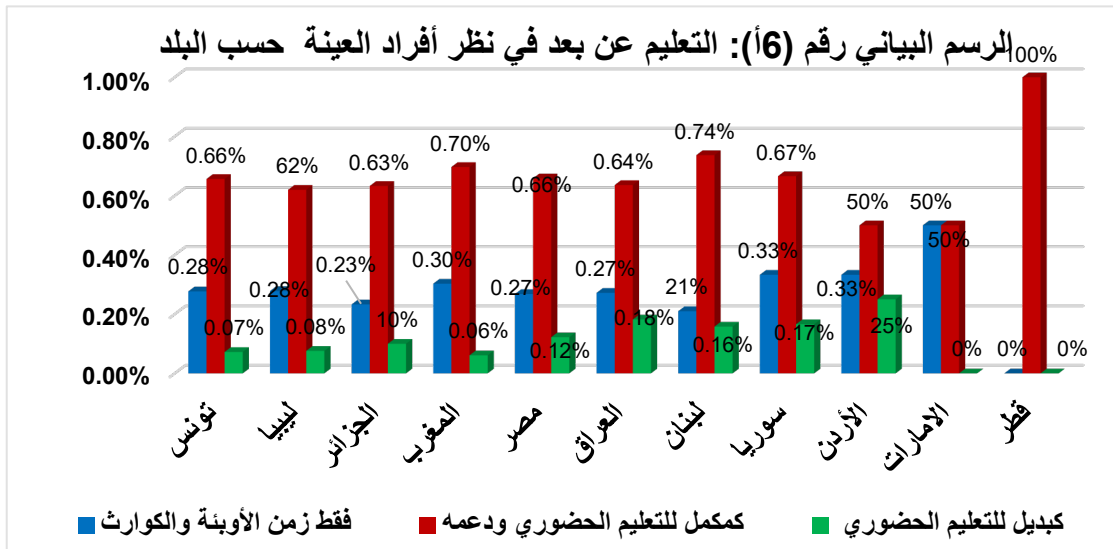
يتبين بعد تحليل البيانات الواردة في الرسم أعلاه (5ب)، أنّ المستجوبين من جميع التخصصات يعتبرون دمج التعليم عن بعد في نظام التعليم ضرورة، بنسبة 60.85% من الفاعلين من تخصص العلوم الإنسانية والاجتماعية، الذين يشكلون نصف العينة تقريبا، يتبعهم المستجوبون من التخصص الطبي والصحي (64%)، فالمختصون في العلوم والهندسة والتقنية (42%). أما بالنسبة لـ " التعليم عن بعد ضرورة إلى حدّ ما" (بمعنى زمن الكوارث وكمدمع للتعليم الحضوري) نلاحظ أنّ أعلى نسبة (أكثر من 41%) لدى المختصين في العلوم والتقنية والهندسة، يليهم المختصون في العلوم الإنسانية والاجتماعية (حوالي 37%). أما خيار "التعليم عن بعد غير ضروري" فالنسب ضعيفة (بين 2.17% و 16.8%) أعلاها بين المختصين في العلوم والتقنية والهندسة.

ولفهم هذه الخيارات بشكل أفضل، طلبنا من المستجوبين شرح ما إذا كان التعليم عن بعد "ضرورة" أو "ضرورة إلى حد ما" فقط في أوقات الأوبئة والكوارث، أو كمكمل للتعليم الحضوري لدعمه، أو كبديل عن التعليم الحضوري، فجاءت الردود على النحو التالي:



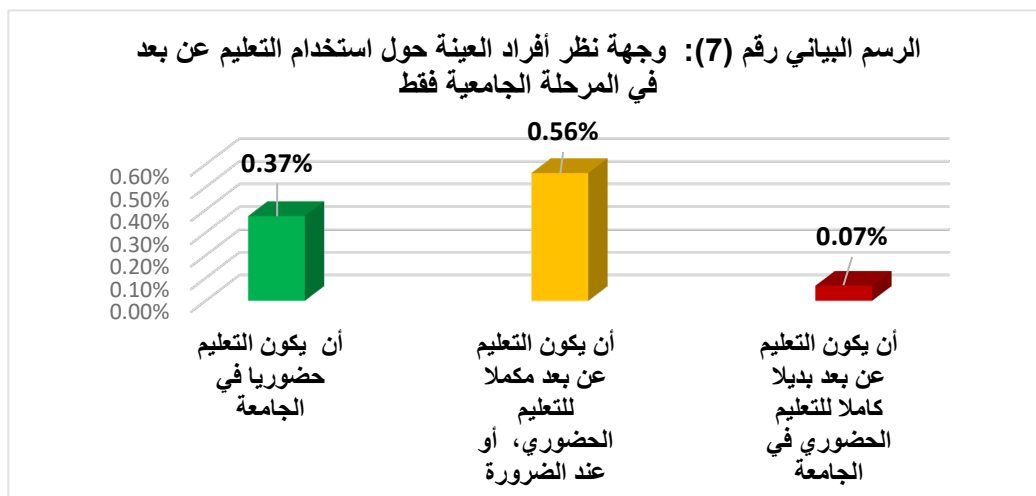
1- Dubet, François, Après le virus, l'école sera-t-elle comme avant ?, Cahiers Pédagogiques, 20 avril 2020, en ligne : <https://www.cahiers-pedagogiques.com/Apres-le-virus-l-ecole-sera-t-elle-comme-avant>

تؤكد البيانات في الرسم أعلاه (رقم 6) أن معظم المسجونين (90.4%) يرفضون أن يكون التعليم عن بعد بديلاً للتعليم الحضوري. فبالنسبة لـ 61.3% منهم يعتبرونه ضرورة كمكمل للتعليم الحضوري ودعمه، و29.13%، في أوقات الأوبئة والكوارث فقط، ونسبة ضعيفة (9.6%) تراه بديلاً عن التعليم الحضوري.



بعد تحليل البيانات في الرسم (رقم 6 أ)، وتقاطعا مع متغير "البلد" تم التأكد من أن خيار التعليم عن بعد إضافة إلى التعليم الحضوري هو المفضّل من المستجوبين في كلّ الدول العربية، حيث تتفاوت النسب بين 62% و100%، مقارنة بمعدلات منخفضة للغاية ومنخفضة (بين 0% و25%) فيما يتعلق بخيار أن يكون التعليم عن بعد بديلاً للتعليم الحضوري.

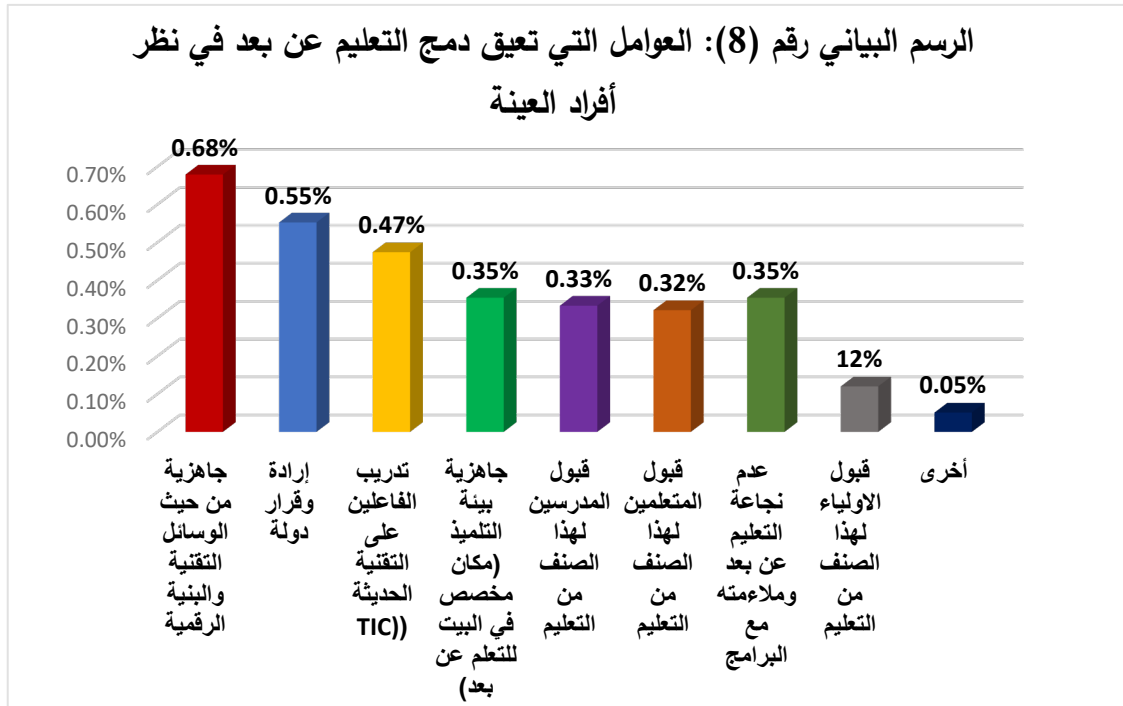
ولإلقاء نظرة فاحصة، أردنا معرفة وجهة نظر المستجوبين حول موضوع استخدام التعليم عن بعد على المستوى الجامعي فقط، فكانت الإجابات كالتالي:



يبدو واضحاً بعد تحليل البيانات في الرسم أعلاه (7)، أنّ معظم المستجوبين (93.38%) يرفضون التعليم عن بعد كبديل كامل للتعليم الحضوري في المستوى الجامعي، حيث يفضل 56.15% من المستجوبين أن يكون مكتملاً للتعليم الحضوري في الجامعة أو عند الضرورة (مثل الكوارث)، و37.28%، أن يكون التعليم حضورياً في الجامعة.

لكن، ألا يكون بديلاً للتعليم الحضوري لا يعني رفض استخدام التقنيات الحديثة والتعليم الرقمي في المرحلة الجامعية، أو قبل ذلك، وهو ما عبر عنه معظم أفراد العينة¹، لما للتقنيات الحديثة من مزايا كبيرة على تكوين الطالب وإعداده للحياة المهنية ومتطلبات سوق الشغل في العصر الرقمي، حيث غزت التكنولوجيا جميع مجالات الحياة. فعلى عكس مراحل التعليم الأساسي حيث يحتاج التلميذ إلى إشراف ودعم ومرافقة المدرس والولي، يتمتع معظم الطلاب في التعليم العالي بالاستقلالية ولديهم المعرفة والمهارات في استخدام تقنيات الاتصال الحديثة (الكمبيوتر، الإنترنت، وما إلى ذلك)، إضافة إلى كونهم في سنّ تتميز بمزيد من النضج والاستقلالية والمسؤولية.

ومن وجهة نظر المستجوبين، هناك العديد من العوامل التي تعيق دمج التعليم عن بعد في أنظمة التعليم في الوطن العربي ومن أهمها:



1- صرّح معظم الباحثين، من خلال سؤال مفتوح حول أهم مبرر لتفضيلهم أو رفضهم للتعليم عن بعد، أنهم لا يعترضون على استخدام التقنيات الحديثة في الفصل، والبحث ودعم المهارات، وكذلك استخدامها، على سبيل المثال، في العديد من المواد التي تستحق التوضيح العملي، أو استخدام التعليم عن بعد في تدريس بعض المواد التي لا تتطلب الكثير من الشرح، وكذلك الاستفادة من الدروس التي تنشرها المنصات التعليمية حول العالم... لكنهم يرفضون أن يكون التعليم عن بعد البديل الكامل عن التدريس والتعلم وجهًا لوجه.

بعد تحليل بيانات الرسم أعلاه (رقم 8)، يبدو أن أهمّ العوامل التي تعيق دمج التعليم عن بعد في أنظمة التعليم في بلداننا العربية هي، بالنسبة إلى معظم المستجوبين (حوالي 68٪)، الجاهزية من حيث الوسائل التقنية والبنية التحتية الرقمية (داخل المؤسسات التعليمية وضمن عديد الأسر، وضعف شبكة الأنترنت أو عدم وجودها، وما إلى ذلك)، والعامل الثاني هو غياب "الإرادة السياسية" (55.25٪) لأنّ اختيار نظام التعليم في أي بلد هو "قرار دولة". إضافة إلى ذلك، يعتقد 47.4٪ من الفاعلين أنّ التعليم الإلكتروني يتطلّب "تدريب المدرسين على التقنيات الحديثة". كما يعتبر آخرون -أكثر من ثلث العينة (بين 32٪ و33.5٪) - أنّ دمج التعليم عن بعد مرتبط بمدى قبول الفاعلين الرئيسيين في العملية التعليمية (المدرّس والمتعلم) لهذا الصنف من التعليم، أي بترسيخ الثقافة الرقمية لديهم. إضافة إلى ذلك، فإن نسبة مهمّة (35.4٪) من أفراد العينة تعتقد أنّ التعليم عن بعد ليس نظاماً تعليمياً جيّداً وغير متوافق مع البرامج التعليمية.

4-3- أهم النتائج المستخلصة من البحث:

كشفت نتائج البحث أنّ:

معظم أفراد العينة، من الفاعلين في العملية التعليمية في الوطن العربي (95.2٪)، يعتبرون التعليم عن بعد "ضرورة" أو "إلى حد ما"، في حين أنّ من يعتبرونه "غير ضروري" نسبتهم منخفضة. يعتبر 61.3٪ من أفراد العينة أنّ التعليم عن بعد هو ضرورة كمكمل للتعليم الحضوري ودعم له. يرفض 90.4٪ من المستجوبين التعليم عن بعد بديلاً للتعليم الحضوري. وحتى في المستوى الجامعي، فإنهم (93.38٪) يرفضون أنّ يكون التعليم عن بعد كبديل كامل للتعليم الحضوري في الجامعة. بالتقاطع مع متغير "البلد"، تمّ تأكيد أنّ التعليم عن بعد -إضافة إلى التعليم الحضوري- هو الخيار المفضل لدى المستجوبين في جميع البلدان العربية، حيث تتراوح النسب بين 62٪ و100٪. أما فيما يتعلق بخيار التعلم عن بعد "فقط في أوقات الوباء والكوارث"، فقد كانت النسب منخفضة في الغالب وتتراوح بين 21٪ و50٪.

يرى معظم المستجوبين من خلال التقاطع مع متغير "الصفة"، -مدرسو التعليم الثانوي والجامعي - أنّ التعليم عن بعد ضرورة، يتبعهم معلمو التعليم الأساسي وطلاب الجامعات وأولياء الأمور. أما نسبة من يرفضون التعليم عن بعد فهي متدنية جداً بين جميع الفاعلين في العملية التعليمية بمختلف صفاتهم. ما عدا فئة التلاميذ الذين يرفضون التعليم عن بعد ويدعمون التعليم الحضوري.

وتقاطعا مع التخصصات العلمية للمستجوبين (في العلوم والهندسة والطب والعلوم الإنسانية والاجتماعية)، يرى معظمهم من مختلف التخصصات أنّ دمج التعليم عن بعد في نظام التعليم الحضوري أمر ضروري. وكانت النسب المئوية لأولئك الذين اعتبروه غير ضروري منخفضة في كلّ التخصصات (بين 2.17٪ و16.8٪).

من وجهة نظر الفاعلين في العملية التعليمية، هناك عديد العوامل التي تحول دون دمج التعليم عن بعد في أنظمة التعليم في الوطن العربي، وأهمّها في المقام الأول، الجاهزية من حيث الوسائل التقنية

والبنية التحتية الرقمية (داخل المؤسسات التعليمية وداخل العديد من العائلات، وضعف شبكة الإنترنت أو غيابها بالكامل (68٪)). يلما غياب "الإرادة السياسية" (25.55٪) وعدم "تدريب المدرسين على التقنيات الحديثة" (47.4٪). إضافة إلى ذلك، يرى أكثر من ثلث العينة أن دمج التعليم عن بعد مرتبط بترسيخ الثقافة التكنولوجية (ICT). كما أن نسبة كبيرة (35.4٪) من المبحوثين تعتقد أن التعليم عن بعد ليس نظاما تعليميا جيداً وأنه غير متوافق مع البرامج التعليمية.

ما نستنتجه في ضوء هذه النتائج أن دمج التعليم عن بعد في أنظمة التعليم في الوطن العربي أصبح ضرورة في نظر معظم أفراد العينة، ولكن في الوقت نفسه، هم يرفضون أن يكون بديلاً كاملاً للتعليم الحضوري، بل كمكمل ودعم له، وهو ما يستجيب للفرضيتين الأولى والثانية للدراسة. كما يعتقد معظم المستجوبين أن دمج التعليم عن بعد في أنظمة التعليم العربية تواجهه عديد الصعوبات التي يجب التغلب عليها: فنية، ولوجستية، وثقافية، وسياسية، وهو ما يدعم أيضا الفرضية الثالثة للدراسة.

5- خاتمة:

إن تسليط الضوء على التعليم عن بعد في العالم العربي، وخاصة من وجهة نظر الفاعلين في العملية التعليمية، يساعد على توضيح عديد التحديات التي قد تقف في طريقه ويُبصّر القائمين على المجال التربوي وصانعي السياسات حول أهم المعوقات التي تحول دون الاستخدام الأمثل له وكيفية تطبيقه من أجل المنفعة الحقيقية.

أظهرت هذه الدراسة أن دمج التعليم عن بعد وتكنولوجيا المعلومات والاتصال في أنظمة التعليم العربية أمر لا بد منه وأصبح ضرورة، لكن يجب اختيار كيفية تطبيقه وفق استراتيجية مدروسة، وألا يكون بديلاً كاملاً للتعليم الحضوري، كما أشار معظم الفاعلين في العملية التعليمية، ولكن كمكمل له في جميع مستويات التعليم، بما في ذلك في التعليم الجامعي.

إن الانتقال من نظام التعليم التقليدي إلى نظام التعليم عن بعد ليس بالأمر السهل: فالبنية التحتية الرقمية في معظم الدول العربية غير موزعة بالتساوي، أو حتى غير موجودة في عدة مناطق. ولا تزال عديد المؤسسات التعليمية والعائلات لا تملك أجهزة كمبيوتر أو هواتف ذكية؛ معظم المعلمين ليس لديهم أي تدريب في التكنولوجيا الرقمية، وهناك الكثير ممن لا يؤمنون بجودة نموذج التدريس والتواصل عن بعد ويجدونه غير مريح. كما يعتبره أولياء المتعلمين نموذجاً تعليمياً مزعجاً ومرهقاً لأنفسهم ولأبنائهم، ويرفضون لعب دور المرافقة في البيت في مهمة غير مألوفة تماماً، وليس لديهم الوقت للقيام بها لكثرة مشاغلهم الأسرية والمهنية. فوفقاً لدراسة قامت بها منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) "تعاني عديد الدول العربية من

الفجوة الرقمية، ونقص البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات، ونقص الكهرباء فلا تستطيع الأسر المحرومة الوصول إلى المرافق الجماعية. كما يفتقر الطلاب وأولياء الأمور والمدرسون إلى المعرفة الرقمية"¹.

من المهم الإشارة إلى أنّ نظام التعليم بشكل عام هو أداة لبناء "منتج". هذا المنتج هو إنسان له خصائص معينة وهوية معينة ونظام قيم معين؛ هذا المنتج البشري الذي نريده أن يكون، شخصاً يتمتع بالمهارات التي يتطلبها سوق العمل في عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي غزت كل مجالات الحياة؛ كما نريده أن يكون مواطناً صالحاً في المجتمع. يقول طارق قريشي، متخصص في التكنولوجيا الحديثة، لكنها لا تحلّ محلّ التفاعل البشري وجهًا لوجه، وهذا ضروري: عندما نتعلم، نحتاج إلى وجود تواصل بشري من حيث العلاقات والتعاطف والحب والرحمة والثقة². وفي هذا السياق أيضاً، تقول كلودين بيوبري (Claudine Beaupré)، الخبيرة التربوية، إن "الأولوية تكون للتدريس وجهًا لوجه، الذي تعترف بقيمته الإنسانية الجديدة، وهي قيمة تزداد أهمية في مجتمع تتزايد فيه النزعة الفردية التي تهدد، في عالم مجزأ، القدرة على إعادة إنشاء المعنى الجماعي، المعنى المشترك. لذلك، من المهم التفكير في المدرسة باعتبارها منفعة عامة وأيضاً مراعاة جميع تحدياتها، بما في ذلك تحديات التعليم عن بعد"³.

لكلّ هذه الأسباب، فإن للتدريس وجهًا لوجه مزاياه ويجب الحفاظ عليه في جميع الأوقات، ويجب أن يكون التعلّم عن بعد مكملًا فقط. وهذا ما تؤكد نتائجه هذه الدراسة، حيث رفض أكثر من 90 بالمائة من المستجوبين أن يكون التعليم عن بعد بديلاً للتعليم الحضوري.



1- Cité in « Note de synthèse : L'Éducation en temps de covid-19 ET APRES », Nations Unies, Aout 2020, p13, en ligne : https://www.un.org/sites/un2.un.org/files/policy_brief_-_education_during_covid-19_and_beyond_french.pdf

2- Natalie Lindo (Euronews, 23/10/2020), L'engouement pour EAD sera-t-il durable ? en ligne : <https://fr.euronews.com/2020/10/23/l-engouement-pour-l-enseignement-a-distance-sera-t-il-durable>.

3- Claudine Beaupré, Madeleine Ferland, Ricardo Peñafiel, Isabelle Pontbriand, Michaël Séguin et Richard Bousquet (2019), Enseignement à distance : Enjeux pédagogiques, syndicaux et sociétaux, Rapport présenté au conseil fédéral (FNEQ), Québec, Mai 2019, p43. En ligne : https://fneq.qc.ca/wp-content/uploads/190424EnseignementADistance-FINAL_CES_CF3_mai-2019.

المراجع:

باللغة العربية:

- 1- خليل، عمر معن (1980)، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، منشورات دار الآفاق الجديدة-بيروت.
- 2- صادق، علاء (6-6-2009)، الأسس النظرية للتعليم عن بعد، منتديات ستار تايمز، متاح على النت: <https://www.startimes.com/f.aspx?t=17253113>
- 3- طعم الله، خميس (2004)، مناهج البحث وأدواته في العلوم الاجتماعية، مركز النشر الجامعي.
- 4- اليونسكو (2020)، التعليم عن بعد: مفهومه، أدواته واستراتيجياته- دليل لصانعي السياسات في التعليم الأكاديمي والمهني والتقني، متاح على الرابط: <https://inee.org/system/files/resources/Policy-breif-distance-learning->

باللغة الأجنبية:

- 1- Claudine Beaupré, Madeleine Ferland, Ricardo Peñafiel, Isabelle Pontbriand, Michaël Séguin et Richard Bousquet (Mai 2019), Enseignement à distance : Enjeux pédagogiques, syndicaux et sociétaux, Rapport présenté au conseil fédéral (FNEQ), Québec, p43. En ligne : https://fneq.qc.ca/wp-content/uploads/190424EnseignementADistance-FINAL_CES_CF3_mai-2019.
- 2- Dubet, François, Après le virus, l'école sera-t-elle comme avant ?, Cahiers Pédagogiques, 20 avril 2020, en ligne : <https://www.cahiers-pedagogiques.com/Apres-le-virus-l-ecole-sera-t-elle-comme-avant>
- 3- Geneviève Jacquinot(1993), Apprivoiser la distance et supprimer l'absence ? Ou les défis de la formation à distance, [Revue française de pédagogie](#) Année 1993, N°102, pp. 55-67, en ligne : https://www.persee.fr/doc/rfp_0556-7807_1993_num_102_1_1305.
- 4- Guillemet, Patrick (février 2009) «La formation hybride», [Vers l'UQAM bimodale](#), en ligne : <https://sites.google.com/site/versluqambimodale/Home/la-formation-hybride>.
- 5- Madoué Florentine Akouete-Hounsino (2012), La formation continue à distance des enseignants du secondaire AU Bénin : Réalités et Perspectives, thèse de doctorat en Psychopédagogie, Université de Montréal.
- 6- Natalie Lindo (Euronews, 23/10/2020),L'engouement pour EAD sera-t-il durable ? en ligne : <https://fr.euronews.com/2020/10/23/l-engouement-pour-l-enseignement-a-distance-sera-t-il-durable>.

- 7- Rapport des Nations Unies, (Aout 2020), « Note de synthèse : L'éducation en temps de COVID-19 et après, Août 2020 », p2, en ligne : https://www.un.org/sites/un2.un.org/files/policy_brief_education_during_covid-19
- 8- Sherry, L. (1995), Issues in Distance Learning, International Journal of Educational Telecommunications, 1(4), pp. 337-365.